جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية

المرحلة الثالثة

اسم المادة : تأريخ قارة اسيا الحديث والمعاصر

المحاضرة الخامسة

حرب الأفيون الأولى(1842–1839)

اسم التدريسية

أ . م . د . سها سليمان علي

2025-2026

حرب الأفيون الأولى (1839–1842): قراءة في الصراع التجاري والاستعماري بين بريطانيا والصين

في النصف الأول من القرن التاسع عشر، شهدت العلاقات الدولية تحوّلًا نوعيًا في طبيعة الصراعات بين الشرق والغرب، إذ لم تعد النزاعات العسكرية محصورة في الدفاع عن الحدود أو المصالح السياسية، بل أصبحت متشابكة مع مصالح اقتصادية وتجارية عابرة للقارات. وتُعد حرب الأفيون الأولى نموذجًا صارخًا لهذا النوع من الحروب، حيث استخدمت الإمبراطورية البريطانية قوتها العسكرية لفرض "التجارة الحرة" على الصين، في وقت كانت فيه هذه الأخيرة تحاول حماية مجتمعها من الانهيار الأخلاقي والصحي الناجم عن انتشار تعاطي المخدرات. لقد مثّلت هذه الحرب بداية ما يُعرف بـ "قرن الإذلال" في التاريخ الصيني، وساهمت في إعادة تشكيل الخريطة السياسية والاقتصادية لشرق آسيا.

أولًا: الأسباب التي أدت للحرب:

1) **الاختلال في ميزان التجارة الدولية**

منذ أواخر القرن الثامن عشر، كانت بريطانيا تستورد من الصين كميات ضخمة من الشاي والحرير والخزف، مقابل عملة فضية، في حين لم تكن الصين تستورد شيئًا يُذكر من المنتجات البريطانية. هذا الاختلال التجاري أزعج بريطانيا التي بدأت تبحث عن طريقة لإعادة التوازن لصالحها.

2) **ظهور تجارة الأفيون كوسيلة استعمارية**

وجدت شركة الهند الشرقية البريطانية في تجارة الأفيون حلاً لهذا الخلل، فقامت بتهريب كميات هائلة من هذا المخدر إلى الصين، بعد زراعته في المستعمرات البريطانية في الهند. أدى ذلك إلى انتشار واسع للإدمان بين الصينيين، ما تسبب في آثار مدمّرة على المجتمع والاقتصاد، وتدخّل الحكومة الصينية لمحاربته.

3) **السياسات الإصلاحية في الصين**

في عام 1839، كلّف الإمبراطور الصيني مفوضًا صارمًا يُدعى **لين تسه شو** للقضاء على تجارة الأفيون. أصدر المفوض أمرًا بمصادرة وإتلاف كميات ضخمة من المخدر في ميناء **غوانغتشو** .اعتبرت بريطانيا ذلك إهانة لمصالحها وممتلكاتها، فقررت الرد بالقوة.

4) **فشل التفاوض وغياب التوازن العسكري**

عندما رفضت الصين تقديم تعويضات أو فتح أسواقها وفق الشروط البريطانية، بدأت بريطانيا حملة عسكرية بحرية مركّزة ضد السواحل الصينية. ولأن الصين لم تكن تمتلك جيشًا عصريًا، وجدت نفسها عاجزة أمام التفوق البريطاني في الأسلحة والتنظيم.

ثانياً: أهداف بريطانيا من حرب الأفيون الأولى

لم تكن حرب الأفيون الأولى مجرّد ردّ فعل بريطانيا على مصادرة شحنات الأفيون، بل كانت تعبيرًا عن **مشروع استعماري متكامل** تسعى من خلاله بريطانيا إلى فرض وجودها الاقتصادي والسياسي في آسيا. ويمكن تلخيص أهداف الحرب ضمن أربعة محاور رئيسية:

1. فرض نظام التجارة الحرة بالقوة

في عصر كانت فيه الصين تفرض قيودًا صارمة على التجارة الأجنبية، رأت بريطانيا أن الوقت قد حان لتغيير قواعد اللعبة. لم تكن "التجارة الحرة" في مفهوم الإمبراطورية البريطانية تعني الشراكة المتكافئة، بل تعني **إجبار الطرف الأضعف على فتح أسواقه دون شروط**، حتى لو كان ذلك يشمل تجارة ضارة مثل الأفيون. وبالتالي، كانت الحرب وسيلة لضمان تدفّق الأفيون إلى الصين، وتحقيق مكاسب مالية ضخمة من خلاله، رغم رفض الدولة الصينية لذلك.

---

2. كسر احتكار الصين للتجارة الدولية

ظلت الصين لقرون تمثل اقتصادًا مغلقًا مكتفيًا بذاته، وتتعامل مع الغرب من موقع القوة. أرادت بريطانيا **كسر هذا الاحتكار التجاري**، وفرض حضورها في الموانئ الصينية ليس فقط عبر التجارة، بل عبر النفوذ السياسي والعسكري. وكان الهدف أن تُصبح الصين، مثل غيرها من البلدان التي خضعت للاستعمار، خاضعة لمنظومة التجارة البريطانية العالمية.

---

3. إعادة التوازن في الميزان التجاري لصالح بريطانيا

كانت الصين تصدّر إلى بريطانيا منتجات مطلوبة عالميًا مثل الشاي والحرير والخزف، بينما لم تكن تستورد الكثير. هذه المعادلة سببت **نزيفًا ماليًا في الاقتصاد البريطاني** .فكانت بريطانيا تهدف من خلال الحرب إلى فتح السوق الصيني لمنتجاتها (وخاصة الأفيون)، كي تتمكن من قلب الموازين الاقتصادية وتحقيق أرباح مستمرة من تجارة المخدرات التي تتحكم بها.

---

4. توسيع النفوذ الجغرافي والاستراتيجي في شرق آسيا

كانت السيطرة على الموانئ والسواحل الصينية جزءًا من هدف أوسع يسعى إلى **توسيع نطاق السيطرة البريطانية في آسيا**، وخصوصًا على طرق الملاحة البحرية المتجهة نحو الهند، التي كانت درة التاج البريطاني. ولذلك فإن السيطرة على مواقع مثل هونغ كونغ لم تكن فقط اقتصادية، بل كانت أيضًا **ذات طابع جيوسياسي**، لتأمين طريق الإمبراطورية من الهند إلى بقية مناطق شرق آسيا.

رابعًا: نتائج حرب الأفيون الأولى (1842): الآثار المباشرة والممتدة على الصين والعالم

يمكن تصنيف هذه النتائج إلى أربع مستويات رئيسية:

1) نتائج سياسية: تفكك السيادة وبداية "قرن الإذلال"

- **فُرضت على الصين معاهدة نانكين**، أول معاهدة غير متكافئة في التاريخ الحديث للصين، وكانت بداية لمرحلة طويلة من الهيمنة الأجنبية.
- **تنازلت الصين رسميًا عن جزيرة هونغ كونغ لبريطانيا**، وهي أول أرض صينية تُسلَّم بالقوة وتصبح مستعمرة أوروبية.
- **تم منح امتيازات للأجانب**، منها: الحصانة القضائية (عدم خضوع البريطانيين للقانون الصيني) وحق الإقامة في المدن المفتوحة.
- **أضعفت الحرب السلطة المركزية الصينية**، وبيّنت هشاشة إمبراطورية تشينغ، مما أدّى لاحقًا إلى تنامي الحركات الانفصالية والتمردات الداخلية (مثل تمرد تايبينغ 1850–1864).
- **بدأ ما يُعرف بـ "قرن الإذلال(1839–1949)** "، وهي تسمية يستخدمها المؤرخون الصينيون للتعبير عن مرحلة خضوع الصين للضغوط والهيمنة الغربية.

---

2) نتائج اقتصادية: انهيار التوازن الداخلي وانفتاح قسري

- **فُتحت خمسة موانئ صينية رئيسية أمام التجارة البريطانية**، وهي: غوانغتشو، شنغهاي، نينغبو، فوزهو، وأموي.
- **أُجبرت الصين على دفع تعويض مالي ضخم لبريطانيا** (21 مليون دولار فضة)، ما أنهك الخزينة الصينية وأفقر البلاد.
- **أُلغيت السياسات الحمائية الصينية**، وبدأت البضائع الغربية تتدفق إلى السوق الصيني دون رقابة أو شروط، مما أدى إلى تراجع الإنتاج المحلي وتفكك الصناعات التقليدية.
- **استمرت تجارة الأفيون، بل وازدهرت أكثر بعد الحرب**، مما جعل الإدمان ينتشر بين فئات واسعة من الشعب الصيني، في ظل غياب السيطرة الرسمية.

---

3) نتائج عسكرية واستراتيجية: اختلال موازين القوى

- كشفت الحرب عن **التفاوت الهائل في القدرات العسكرية والتكنولوجية بين الصين والغرب**، حيث كانت الجيوش الصينية تعتمد على أسلحة بدائية، في حين امتلكت بريطانيا بارجات بخارية ومدافع متطورة.
- **أصبحت الصين هدفًا للتدخل الأجنبي من عدة قوى استعمارية**، مثل فرنسا، روسيا، الولايات المتحدة، واليابان، والتي بدأت تطالب بنفس الامتيازات التي حصلت عليها بريطانيا.
- أدّت الحرب إلى **زعزعة مكانة الصين كقوة آسيوية كبرى**، وتحولت إلى كيان هش تتقاسم النفوذ فيه عدة دول أجنبية تحت مظلة "المعاهدات الجبرية."